"سنُحبُّ المسلمين مائة عام"!

ما هو الفرق بين المُسلمين في معتقداتهم ومذاهبهم وفي مواقفهم من التحديات التي تواجه الأُمة اليوم وفي طليعتها التطرّف؟ إذا طرحتَ هذا السؤال على الأكثرية من الشعوب الأوروبية والإفريقية والإسترالية والأميركية لن تحصل بالطبع على إجابة شافية .. عندها فقط ستكتشف كم أننا أمةٌ ظالمة بحق أبنائها وكم أننا أمةٌ تبحث عن الخلاف لا الاختلاف..وكم أننا أمةٌ تريدُ لأبنائها أن يتربّوا على النزاعات لا أن يعيشوا على احترام التناقضات، وكم نحنُ أمةٌ غارقة في متاهة فكرية تعيسة غير منتجة، صُوّر من خلالها الإسلام على أنه حُكم الجاهلية، وصُوّر المُسلمين على أنهم من آكلي الرؤوس واللحوم والدماء.

سيتساءل البعض لماذا هذه الصورة المأساوية؟ وما الجديد اليوم حتى نقف عند هذا الكلام؟ لا سيّما وأننا في صراع طويل بدأ منذ أحداث 11 سبتمبر ونحنُ نحاول تحسين صورة المسلمين ودفع التُهم عن الإسلام؟ هل نجحنا في ذلك؟!.. أغلب المؤشرات وأدوات القياس تُشير إلى أننا نعم نجحنا في تلميع صورة المسلمين من خلال المؤتمرات والأبحاث والدراسات والفعاليات المشتركة مع الغرب لكن لمدّة زمنية محدودة.. مدّة كانت كافية لأن يستغل من يُكيدُ لنا فرصة انشغالنا بمحاباة الغرب لكي يُعدّ ويُنشِيء جيلاً من المتطرفين ومن الجهلة ينسف كلّ ما قمنا به من جهود بضربة واحدة.

ها نحنُ اليوم نقف في قفص الإتهام مجدداً لنُدافع عن صورة الإسلام والمسلمين أمام الغرب بسبب مُمارسات وحشية بإسم الدين، وها نحنُ اليوم أيضاً نطلب من الأديان الأخرى أن تُميّز بين المُسلم الصحيح وبين من يدّعي الإسلام، فيما نحنُ اليوم بتنا عاجزين عن الإلتفاف على أداة قياس نُميّز فيها الجاهل من الخبيث، والعالِم الذي ينشر عِلمه لإعلاء القيم الإسلامية والأخلاقية وبين آخر يُتاجر بالدين على أبواب السلاطين.

يبدو أن المعركة لنُصرة الإسلام الحضاري ستكون صعبة للغاية في خضم الفوضى الفكرية التي نعيشها مع تناقض الأهداف والأولويات، فمنّا من يرى أن أولويات الأُمّة تكمن في نُصرة الشعوب وتحررها من حُكّامها الظالمين كخطوة على طريق بناء الحضارة الإسلامية، ومنّا من يرى أن الأولويات هي إقصاء الآخرين وسحقهم لتأسيس دولة إسلامية مُشوهّة ، ومنّا من يعتنق الحرية في الفكر وفي الاعتقاد مؤمناً بأن لا نهضة من دون حوار على المستوى الداخلي والخارجي ، وأن لا نهضة من دون تشخيص الأخطاء وتسمية الأشياء بمُسمياتها، والإتفاق على سُبل التعامل مع ما يتعرّض له الإسلام اليوم من تشويه على يد المسلمين أنفسهم قبل توجيه اللوم على الغرب.

نعم..إن مسألة الدفاع عن الإسلام قد يراها البعض على أنها تأكيدٌ على الإتهامات التي تُلصق بالمسلمين كالإرهاب والعنف..ولكن هل هذا يعني أن نقف مُتفرجين على الجرائم التي تُرتكب بإسم الدين؟ وبإسم الله؟ أما أن الحلّ يكمن في تعزيز ثقافة الحوار بين بعضنا البعض أولاً وبيننا وبين الأديان الأخرى ثانياً؟

لقد اجتمع مؤخراً زعماء روحيون مسيحيون ويهود لدعم الجالية الإسلامية في أستراليا مطالبين عامة الشعب الاسترالي مشاركتهم في حملة أطلقوا عليها عنوان: "سنُحبُّ المسلمين مائة عام"، وذلك رداً على مقال نُشر في صحيفة " الويكآند " الأسترالية ورد فيه تصريح لقائد قائد الجيش الأسترالي الأسبق بيتر لايهي، حيث قال "سنُحارب الاسلام مئة سنة" مشيراً إلى أنه على أستراليا أن تتهيأ لحرب ضد الإسلام المتطرف وستمتد الحرب إلى آخر القرن.

فلنتوقف قليلاً عند هذا التصريح.. ولنبتعد عن نظرية المؤمرات ونظرية الكُره والحقد على المُسلمين، والتصورات التي نُقنع بها أنفسنا بأن الغرب يحقدُ علينا لأن الله منّ علينا بنعمة الإسلام، ولأن الله منحنا الثروات الطبيعية، وأن الحرب على "التطرّف" هي عنوان للإستعمار الجديد.. إذا صحّت تلك النظرية، أين نحنُ إذن من التصدّي لهذا الإستعمار من حيثُ تطوير العلم والعمل لإدارة ثرواتنا؟ وهل فعلاً تمكنّا من إدارة تلك الثروات أم أننا سلّمناها لمن يُديرها لنا بمحض إرادتنا للحفاظ على المصالح الذاتية؟ وهل نحنُ فعلاً نواجه التطرف بكل ما أوتينا به من قوّة ومن علم؟

وإذا لم تصحّ نظرية المؤامرة.. فماذا نحنُ فاعلون اليوم لمواجهة التطرف –الذي تحدّث عنه قائد الجيش الإسترالي الأسبق؟- إلى الآن لم أرى أي حملة إسلامية -شُنّت على نطاق العالم العربي أو الإسلامي- قد ترفع شعار :" نحبُّ الإسلام... وسنُحارب التطرّف" أم أننا مُنشغلين بحملات سكب الثلج على الرؤوس.. وما أدراك ما ستُظهرهُ الشمس عند ذوبان الثلوج!